الهوامش

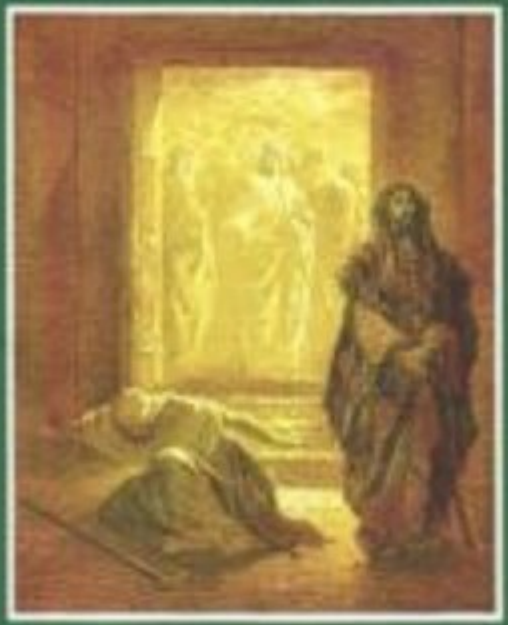

مكاريوس
الأسقف العام

مطرانية المنيا وأبوقرقاص

الهوامش

مكاريوس
الأسقف العام

اسم الكتاب: الهوامش

المؤلف: مكاريوس، الأسقف العام.

الناشر: إيبارشية المنيا وأبوقرقاص للأقباط الأرثوذكس.

الطبعة: الثانية – أغسطس ٢٠١٤.

المطبعة: مطابع النوبار – العبور.

الغلاف: م/ مايكل مراد.

فصل الألوان: Levels.

العناوين: مجدي لوندي.

رقم الإيداع: ١٠٨٢١ / ٢٠١٢

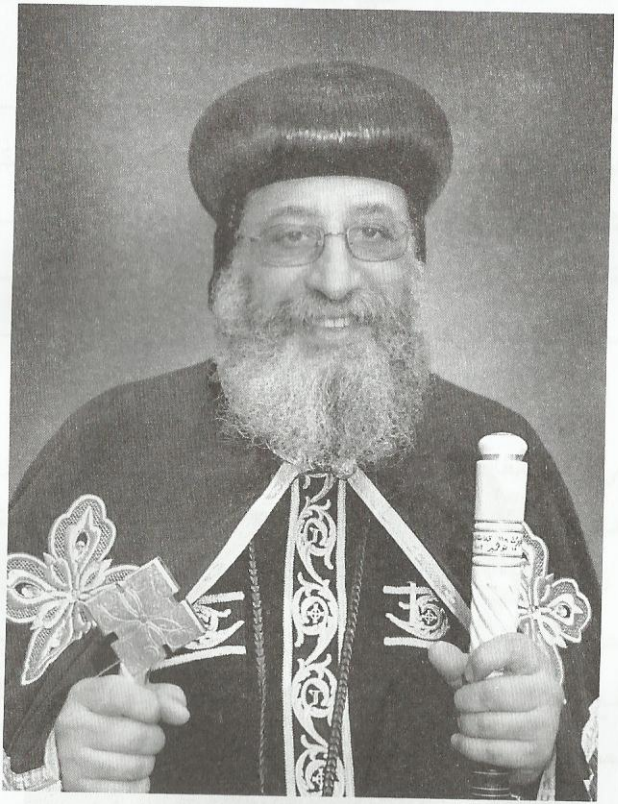

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية في مصر وسائر بلاد المهجر

نيافة الحبر الجليل الأنبا أرسانيوس

مطران المنيا وأبوقرقاص

الهوامش

لكل منا هامش في شخصيته وآخر في حياته، كما توجد أيضًا هوامش بين الجماعات، وربما كانت هذه الهوامش هي التي تميّز الشخص عن المجموع. وأحيانًا يُسمّى الهامش بـ"الحياة الخاصة للشخص"، وربما كان مجموع الهوامش الشخصية هو الإسهامات التي يشترك بها الأفراد معًا في تكوين الشكل العام للحياة، أو ما يُسمّى أحيانًا "سمة المجتمع"، أو "صفة المدينة".

ففي المجتمعات أو الجماعات هناك المجرمون والمدمنون والمرضى والمجانين والفقراء والجهلاء، وهؤلاء يمثلون الهامش السلبي للمجتمع؛ كما يوجد في المقابل العلماء والأبرار والمبدعون والخيّرون، وهؤلاء يمثلون الهامش الإيجابي. ومع ذلك فمع بعض الأشخاص يصبح الهامش هو أفضل ما فيه، كما تتسم بعض المجتمعات بالضعف العام والذي كان يجب أن يكون الضعف فيها مجرد هامش، وهذا هو الفرق بين مجتمع متميز وراقٍ وآخر على الخلاف من هذا.

ومن المنطقي والحال هكذا ألا ننظر إلى المجتمع – سواء الكنسي أو العام – من خلال الهوامش، وإنما من خلال الكل؛ فلا يُحكَم على فرد من تصرف ما؛ ولا على جماعة من خلال شخص ما؛ ولا يَحكُم شخصٌ ما على نفسه من خلال مرحلة ما في حياته؛ فلربما كانت هذه هي الهوامش التي نقصدها.

فلكل منا هامش من الضعف ومثله من التميز، وتفهّمنا لذلك يجعلنا نتقبّل الآخر ونشفق عليه ربما، بدلاً من وضع الشخص في صورة الكامل الذي لا يخطئ، أو الشرير الذي لا ينفع، فقد تمثّل نسبة ٧٠% أو ٨٠% في الشخصية تلك القاعدة العريضة للمجتمع بينما تمثل البقية ضعفاته أو تفوقه، وهناك هامش تفوق ومثله هامش ضعف. وكلما جاهد الانسان كلما تقلّص هامش الضعف، وكلما زاد طموحه وأمسك به كلما ازداد هامش تميزه.

إذًا هناك هامش شخصي، يمثّل الجانب البارز في الشخص، وهناك هامش مجتمعي ويمثّل مجموع الأفراد سواء المتميزون أو المفسدون، وهناك هامش ثالث يمثل إما الضعف أو التميز العام في المجتمع، والذي هو مجموع الصفات البارزة لدى الأفراد.

قبول الهوامش ضروري لتفهّم الحياة والمتناقضات التي فيها، ولفهم كيف أن الكامل الوحيد هو الله، وأن حياتنا مشوبة بالضعف والنقص.

وفي الكنائس يوجد مثل هذه الهوامش، فهناك عناصر من المتردّدين على الكنيسة: منهم الفقير، ومنهم المريض، والمجرم، والمتطفّل، والمبتز، وصانع المتاعب، ومنهم الموسوس (المريض دينيًا)؛ وكذلك البار، والعطوف، والباكي، والخدوم. والخُدّام أيضًا: منهم الحسّاس، والعصبي، والكسول، والنشط، ومحب الظهور؛ وتقوم الخدمة في الكنيسة على المجموعة الممتازة من الخدام، بينما يجب قبول وتفهم الفئة الضعيفة. وبالمثل المخدومون: فمنهم الهادئ، والمشاغب، والمتمرد، وفي هؤلاء تظهر مهارة الخادم وطول أناته وقدرته على الاحتواء؛ ومنهم أيضًا البار، والحار، ومنهم من تظهر مواهبه الروحية والتكريسية مبكرًا.

وفي مؤسسات الدول يُراعى عند إنشاء المرافق، ذلك الهامش من الناس الذين يحتاجون إلى اهتمام خاص مثل: ذوي

الاحتياجات الخاصة، والمكفوفين، والصم، والخرس، وثقيلي الوزن، والمرضى، وغيرهم؛ بل يولون إياهم عناية أكبر من القادرين على خدمة أنفسهم بأنفسهم.

وقد عالج الكتاب المقدس ذلك في الوصايا الخاصة بالسلوك الشخصي، وأُشير إلى الهامش الشخصي كثيرًا مثل: «فَيَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الأَقْوِيَاءَ أَنْ نَحْتَمِلَ أَضْعَافَ الضُّعَفَاءِ» (رومية ١٥: ١ – لاحظ أنه قال "أضعاف الضعفاء"، أي هامش الضعف عندهم)، كما عالج الأمر بالنسبة للشعب حين أشار الكتاب إلى أن: «اَلْبِرُّ يَرْفَعُ شَأْنَ الأُمَّةِ، وَعَارُ الشُّعُوبِ الْخَطِيَّةُ» (أمثال ١٤: ٣٤)، وعن الضعفات الشخصية قال الكتاب: «لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ» (متى ١٩: ١٧)، و«كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ» (إشعياء ٥٣: ٦). وقد ذكر القديس بولس أن أهل أثينا متدينون على كل حال (أعمال ١٧: ٢٢)، بينما وصف الكريتيون نقلاً عن شعرائهم: «الْكِرِيتِيُّونَ دَائِمًا كَذَّابُونَ. وُحُوشٌ رَدِيَّةٌ. بُطُونٌ بَطَّالَةٌ» (تيطس ١: ١٢).

علينا أن نتوقّع دائمًا نوعًا مختلفًا من الناس، وضعفًا ما في أي مكان نذهب إليه، وأن لا ننكر على الشخص هامشه الشخصي، ولكن من المهم جدًا أن نعي أن الهامش الشخصي هو جزء من هامش المجتمع، وأنه يضفي على المجتمع ككل سمته المميزة.

الهوامش وخصوصية الشخص:

هناك هوامش يمكن أن تُسمّى "الحدود"، وهي خصوصيات الشخص التي يجب ألا تُنتهك من الآخرين مهما كانت درجة الصلة بينهم، ليس على مستوى الأصدقاء فقط أو الإخوة، بل أقول بين الزوج والزوجة، حيث يجب أن يكون هناك لكل شخص خصوصياته واستقلاله، فاتحادهما معًا لم يلغِ فرادة كل منهما، كما أنه، ومن جهة أخرى، فإن وجود مسافة بين الطرفين يُبقِي على الاشتياق والاحترام أحدهما للآخر، فالدالة الشديدة مفسدة في جميع الأحوال، فإن اتحادهما معًا بفعل الروح القدس في الزواج، لا يلغي كون الزوج رجلاً والزوجة سيدة، وهناك

الميول الشخصية من جهة الملابس، والذوق الخاص في الألوان، وأنواع الطعام، والفنون، والسياسة، وغيرها؛ بل ربما كان هـذا الاختلاف نوعًا من التعدّدية، وسببًا في إثراء الحيـاة الأسـرية، وسيظل لكل من الزوجين حتى آخر حياتهما هامشه الخاص.

الهوامش في الطرق:

وهناك الهامش المطلوب في الحياة بشكل عام مثل هـوامش الطرق، والتي صُمِّمت لتستوعب أي جنوح طـارئ للسـيارات، ولولا وجودها لسقطت العربات وحدثت الكوارث. كمـا توجـد أيضًا هوامش أخرى للطرق وهي "الأرصفة"، حيث يتاح للمشـاة استخدامها ليُترك الشارع للسيارات.

ومثل تلك الهوامش توجد في طرق أخـرى هـي الطـرق الروحية!، حيث يحرص الآباء الروحيين على وجودها في حيـاة الشخص لتستوعب أية طفرات، وبالتالي فإن الجنوح في الحيـاة الروحية والنسكية يمثل خطرًا كبيرًا على الشخص، من هنا نفهم لماذا كان الآباء يمنعون أولادهم في بعض الأوقات من ممارسات

روحية معينة مثل الإفراط في الصوم أو النسك أو الصمت أو العزلة أو بعض أنواع من القراءات[1].

الهوامش الصحية:

إن الهوامش تذكّرنا أحيانًا بالأشخاص الذين يحيون طوال حياتهم بعيب في السحنة أو الجسد، مثل التشوّهات[2]، أو المصابين بمرض ما لا شفاء له ولا سبيل للخلاص منه، فهذا مصاب بداء السكر، وهذا بُترت ساقه في حادث، وهذا عنده ضعف في عضلة القلب، وهذا يحيا بكلية واحدة، وهذا لا يقرب بعض أنواع من الأطعمة أو ممنوع منها بأمر الطبيب. لقد قرأتُ

---

[1] نقرأ في سيرة القديس باخوميوس أنه أرسل تلميذه ليمنع أحد الإخوة من الصلاة، فلما فعل ظهر شيطان في الحال وراح يحدّف على القديس، وتأكد وقتها أن تلك الصلاة لم تكن لحساب المسيح وتمجيده، بل ليوهَم الشاب بأنه قد أصبح من القديسين. ومثلهم أيضًا مُنع من الصوم العنيف سواء من جهة الانقطاع أو أنواع الطعام، حيث تذمر الشاب بسبب ذلك في نفسه قائلاً: "في أي الكتب سُطر الا نتنسك!".

[2] هناك من وصف ذلك بالقول: "عيب خَلقي" (بفتح الخاء)، وكأن الله أخطأ في الخلق (باظت منه!!).

عن كاتب معروف أنه كان يقضي أغلب وقته في البانيو بسبب الحساسية الشديدة لجلده، وآخر اُضطُر إلى ارتداء قناع طوال حياته! فمن جهة يجب أن يتقبّل الشخص نفسه ذلك، ويتعايش مع ضعفه، وإلاّ يأس من الحياة؛ ومن جهة أخرى على الآخرين ممن حوله تقبّل ذلك، والتعامل معه ككيان وشخص كامل، وليس من خلال هذا الضعف والتركيز عليه.

الهوامش الروحية:

لا يوجد إنسان كامل، لم ولن يحدث مثل ذلك، لأن الكمال المطلق هو لله وحده، وعندما يوصف شخص بأنه "كامل" مثل أيوب البار والأنبا بيشوي فهو كمال نسبي، ويتبقّى بعض الضعفات في كل شخص، بل أشار مار اسحق السرياني ذات مرة إلى أن الانسان يخلص غالبًا من خلال نقطة ضعفه، ولقد أورد الوحي المقدس ضعفات الآباء والأنبياء لكي يؤكّد على أن البار الوحيد هو الله، وكذلك لكي لا ييأس الضعفاء من أنفسهم وخلاصهم.

الهوامش في العمل:

سألتُ رجل أعمال ذات يوم إن كان هناك بين موظفيه من يخون أو من يسرق أو غير مدقِّق، فأجاب إن هناك نسبة منهم هكذا، وأن بعض المتميزين ينحمق أحيانًا، وهو يفهم ويتفهّم ذلك مادام المُجمَل – سواء للفرد أو المجموع – مقبولاً فلا بأس من وجود بعض التقصير والضعفات، وأضاف أنه يفهم ذلك ويتقبّله من خلال ضعفه الشخصي وتقصيره.

وفي المصانع هناك تلفيات، وهناك فرز ثان وثالث للمنتجات، وهناك أشخاص يقومون بأعمال ليست على درجة كبيرة من الأهمية ولكنها ضرورية بل ولا يمكن الاستغناء عنها، أي أن هناك من يعملون في الظل، وربما كانت إمكانياتهم محدودة ولكن لا غنى عنهم.

الهوامش في القوانين:

حتى القوانين فإنها إذا سادت بنسبة سبعين أو ثمانين بالمئة فهو معقول ومقبول، ويرفع الكثير من رجال الأعمال والمسئولين

شعار "*as possible* بقدر الإمكان"، فليس مطلوبًا من الشخص كمٌ ما، أو إنجازٌ ما بعينه، وإنما أن يفعل ما باستطاعته. وعندما سأل راهبٌ شاب الأنبا بفنوتيوس – تلميذ القديس مقاريوس – أنه لا يقدر على فعل ما أمره به، قال له: "اعمل بقدر قوتك وأنا أحسبك مع الذين أكملوا الطاعة".

الهوامش في الخصوصيات:

وفي المناقشات يجدر بنا أن نتحاشى الحديث في الخصوصيات، وهو ما يعد تطفّلاً على الآخر، ودخول مناطق تعد الهامش الخاص به، ومثلها الموضوعات التي يجب أن نستحي من الحديث عنها أو السؤال فيها، مثل المرتب والخط وأخبار الأسرة وغيرها، فإن الناس يضيقون عادة بالمتطفّلين والذين يقحمون أنفسهم في حياتهم، أو الذين يحاصرون محدّثهم، ويناورون، ويضغطون، ويطاردون لمعرفة بعض الأسرار أو الخصوصيات. والواجب أن يكون الشخص عفيفًا جدًا وزاهدًا جدًا فيما يخصّ الآخرين بل لينأى بنفسه عن مثل ذلك، ويتعفّف

عن سؤال الشخص سواء بشكل مباشر أو التقصّي عنه من خلفه (في الهزليات يسمون مثل ذلك الشخص: "الأستاذ بقدونس، وإن كانت سيدة يسمونها "السيدة بصلة"!!). بل إن مشاعر الشخص وخصوصياته لهي بمثابة قدس أقداس، حري بنا أن نتعامل معه بكثير من الحرص والحياء.

الهوامش داخل البيوت:

وفي البيوت عادة هناك مساحات أو هوامش تُسمّى المخازن، يوضع فيها ما لا ضرورة له، وما لا يُستخدم. وبينما يكون البيت كله بهيًا ولامعًا، تكون تلك المساحات هي الظل، وهي التي يتجمّل البيت على حسابها؛ فهذا دولاب مكدَّس بأشياء اُستُغني عنها، وهذه لعب قديمة، وهذه ملابس لم تعد تُستخدم، وهذا كرسي تالف، وهذا صندوق نفايات، وهذا حمّام، وهذه حجرات خلفية... الخ. وفي الفنادق هناك أماكن لا تُعرَض، ولا يدخلها إلا العاملون، إنها كواليس الفندق أو المصنع.

هوامش هامة:

في المقابل هناك هوامش تُعتبر هامة وهي هوامش التميز، عندما يوجد شخص متوقد الذهن بين الآخرين، وموظف أشد أمانة من الباقين، وشخص أعلى روحانية بين أقرانه، وخادم أكثر غيرة، وطفل أكثر حيوية، وشاب أكثر علمًا، وطالب أكثر التزامًا وتفوقًا، فعلى هذه الهوامش يقوم التقدّم في المجال ذات الصلة، وكلما زاد هذا الهامش كلما انتعش المجال، فعلى بعض الخدام الأمناء الغيوريين يقوم نجاح الخدمة، وكلما زاد عددهم أو هامشهم كلما ازدهرت الخدمة، وفي الأديرة كذلك وبيوت التكريس، ومثلهم العلماء والأدباء والفنانون بمختلف أنواعهم، والمبدعون عمومًا، كلما ارتقت تلك البلد.

وهكذا يمكن تصنيف المجتمع في هذا الإطار إلى ثلاث شرائح: الشريحة الكبرى والعامة هي المتوسطة أو العادية، يُضاف إليها شريحتان: الضعيفة والتي تحتاج إلى قبولها وتفهمها والصبر عليها، والثانية المتميزة والتي يُعوّل عليها في الارتقاء

بالمجتمع. فبين الرسل والتلاميذ كان هناك الخائن والمنكر، وكان هناك الملتهب الكارز العظيم مثل معلمنا بولس.

وما دمنا قد اتفقنا أن لكل منا هامشًا من الضعف أيًّا كان نوعه، فإنه ليس من العدل أن نضع شخصًا في هالة ونؤلّهه، ونثق به ثقة غير محدودة، لأنه إذا صدر عنه ما لم نتوقعه فقد نُصدم فيه وقد نفقده. أن نعرف أن للناس ضعفات هذا رائع، ولكن المهم أن نتفهم ذلك، ونهب لهم بعض العذر، فالبعض قد يتعجّب كيف يأكل الكاهن ويشرب وينام ويتعب ويغضب، ويرى أنه لايمكن أن يحدث شيء من هذا!!، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فمن التعقّل ألا نثق بشخص ما – مهما كان – ثقة كاملة، بل يجب ألاّ تتجاوز الثمانين بالمئة مثلاً، على أن يكون الباقي هو الهامش الذي تحدثنا عنه.

عندما يتحوّل الهامش إلى جزء هام في المساحة:

نفهم ذلك متى اعتبرناه جزءًا مكمّلاً للمساحة، بل ولا يمكن الاستغناء عنه، مثل هذه الهوامش: فترات النوم، وفترات الترفيه

والتنزّه، وأحياناً فترات التأمل، وفترات الخلوة وغيرها، إذ أنه بدون تلك الفترات يستحيل على الشخص مواصلة نشاطه، وإن كان الناس عادة ما ينامون ثلث أعمارهم!! بل أحياناً ما يكون الهامش هو أهم ما في المساحة مثل فترات الصلاة والخدمة وعمل المحبة.

المُهمَّشين:

وهم الطبقة التي يهمّشها المسئولون في الدولة، فلا ينالون اهتمامًا منهم، وينسونهم أو يتناسونهم، وينمون في الهامش بعيدًا عن أعين الكل، ويشكّلون خطرًا كبيرًا على المجتمع بعد ذلك[٣]، وربما يسعون للانقام، وربما للفت الانتباه، ومثل ذلك يحدث في الأسر حيث يهمل الوالدان أحد الأبناء، فإما أن يضمر ويصبح خاملاً، وإما يسعى للفت الانتباه، وهكذا يتعرّض بعض الأفراد أو الطبقات للانحسار، ولكن الأفضل أن يشكّل أولئك جزءًا من النسيج دون أن يحيوا في الهامش.

---

[٣] يحدث مثل ذلك مع الهنود الحمر، أو السكان الأصليين في أمريكا وأستراليا وكندا، حيث يسعى الحكام إلى جعلهم طاقة خاملة وأشخاصًا كسولين، حتى لا يمثّلوا خطرًا على الدولة.

الذين همّشوا أنفسهم:

وهم الأشخاص الذين اختاروا أن يحيوا في الهامش قانعين بذلك، ومثلهم الذين قبلوا أن يكون مكانهم الأرض متنازلين عن كل كرامة ورتبة، ومن هؤلاء: الرهبان، والذين اختاروا من الحياة هامشها سواء جغرافيًا من جهة المكان (على أطراف القرى أو في الصحاري عمومًا)، أو من جهة العزوف عن لذّات العالم ومباهجه مكتفين بالقوت الضروري. ولكن هذا الهامش الذي عاشوا فيه تحوّل إلى مساحة هامة وربما أهم مساحة، وربما أُعيد تشكيل صفحة الحياة من خلال هذا الهامش.

ومن بين الذين اختاروا الهامش كمنهج حياة عن قصد بعض من المصلّين الذين يختارون من الكنيسة الظل وخلفيات الأعمدة، يصلّون في هدوء، ويخرجون دون أن يراهم أحد، أو يروا هم أحدًا، ولربما سبق مثل هؤلاء يوم الدينونة الكثيرين ممن لهم أسماء وأماكن ومكانات.

الهوامش في الكتابة والكتب:

في الكتب تنقسم مساحة الصفحة إلى متن وهامش، وقد يوضع في الهامش ما هو امتداد لما ورد في المتن، أو للتوضيح، أو كجزء أقل أهمية، أو للاستزادة. وكثيرا ما نرى في المخطوطات القديمة حواشي وإضافات هامة جدًا على هامش الصفحة، حيث من الصعب إعادة التبييض والكتابة بعد كل إضافة، وكثير من كتب المحبّين للاطّلاع تكتسي الهوامش وتتخم بالاضافات.

كتب أخرى للمؤلف

دراسات في العهد القديم:

١) تفسير سفر طوبيا
٢) تفسير سفر يهوديت
٣) تفسير سفر حكمة سليمان
٤) تفسير سفر يشوع بن سيراخ
٥) تفسير تتمة أستير ودانيال وصلاة منسى والمزمور ١٥١
٦) مدخل إلى سفري المكابيين
٧) تفسير سفر المكابيين الأول
٨) تفسير سفر المكابيين الثاني

كتب تاريخية ودراسات:

٩) الرهبنة الحبشية
١٠) شهداء نجران
١١) بيلاطس البنطي
١٢) التلمود (نشأته، تاريخه، بعض من نصوصه)
١٣) الهيكل: الطقوس والاحتفالات كما كانت تتم في أيام السيد المسيح (مترجَم)
١٤) مدخل إلى الموسيقى القبطية (طبعة تحضيرية)
١٥) دراما الصلب

سير آباء:

١٦) الأنبا موسى الأسود

١٧) الغريبان الصغيران (القديسان مكسيموس ودوماديوس)

١٨) الأب عبد المسيح الحبشي

١٩) الأب بنيامين المتوحد

٢٠) الأب عبد المسيح صليب المسعودي البرموسي

٢١) الأب تادرس الأنبا بولا (حكاية راهب في القلاية المجاورة)

٢٢) شهداء العهد القديم

كتب روحية:

٢٣) التلمذة الروحية

٢٤) الميطانيات

٢٥) شبابنا وفكر الرهبنة

٢٦) معلمين كثيرين

٢٧) كيف أحيا عفيفًا

٢٨) العمل الفردي

٢٩) محاسبة النفس

٣٠) تقديس الحاضر

٣١) حياة التسليم

٣٢) الشكل والجوهر

٣٣) نظرة الله إلى الخاطئ

٣٤) تأليه الأشياء وتشييء الأشخاص

٣٥) الحياة الأبدية

٣٦) تكوين العادة

٣٧) لماذا يقبل شباب الأقباط على الرهبنة؟

٣٨) الخادم بين الازدواجية والمصداقية

٣٩) فضيلة الشكر

٤٠) فضيلة النسك

٤١) مفتدين الوقت

٤٢) تعرّف على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

٤٣) أُجراء وأبناء (مجموعة قصصية)

٤٤) عين الماء (مجموعة قصصية)

صدر حديثًا للمؤلف

١) الأكل – احتياج بيولوجي أم عمل مقدس
٢) التدين السليم
٣) الخادم والجندية للمسيح
٤) الدالة الرديئة
٥) العشرة مسئولية
٦) المخدع – سُكنى الله مع الناس
٧) الملل – الحرب الباردة
٨) الهوامش
٩) أهمية العقيدة
١٠) صيد السمك وصيد الناس
١١) حتى لا نفقد أولادنا – ملاحظات حول الارتداد
١٢) وأطلب الضال وأسترد المطرود